أ.د. غانم محمد الحفو : ملامح من منهجيته التاريخية وتجربته الشعرية

أ. د. ذنون يونس الطائي *

تاريخ استلام البحث   تاريخ قبول النشر
٢٠١١/٩/١٣   ٢٠١١/١٢/١٩

ملخص البحث :
يتناول البحث إبراز الجهود العلمية والمنهج التاريخي للأستاذ الدكتور غانم الحفو ، من خلال مؤلفاته وأبحاثه فضلاً عن دراسة تجربته الأدبية والشعرية ، في خطان متسقان معاً ، كونه مؤرخاً ومبدعاً في مجال نظم الشعر.

Prof. Dr. Mohammed Ghanem Alhfo
Features of the methodology of the historical and poetic experience

Prof. Dr.Thanoon Y. Altaee

Abstract
The research efforts of scientific and historical approach of professor Dr. Ghanem Alhafo through his writing and his research as well as the study of his literary and poeticlines together as ahistorian and creative in the field of poetry .

* أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر / مدير مركز دراسات الموصل

مقدمة:

المؤرخون المتخصصون في مجال التاريخ الحديث، هم قلة في جامعة الموصل، لاسيما ممن يحمل لقب (الأستاذية) في تخصص (تاريخ العراق المعاصر) فما أن يذكر إلا وذكر معه الدكتور غانم محمد الحفو، فهو الأستاذ المتخصص الذي ما أن تقرأ له، إحدى مؤلفاته أو بحوثه حتى يشعرك، بسعة افقه، واساليبه الآخاذة في تحليل وتركيب الأحداث التاريخية، والحفو-عندي- متميز في إطار التنظير والتحليل وطرح الأفكار المترعة بالأبعاد الفلسفية التي توحي للقارئ مدى تمكنه وإحاطته بالمناهج والمدارس الفكرية والتفسيرات المتعددة لانساق العملية التاريخية.

يقول عنه زميله الدكتور إبراهيم خليل العلاف: "الدكتور الحفو سبق له أن إرتاد ميدان الكتابه والتأليف ليس في تاريخ العراق المعاصر حسب، بل وفي تاريخ العرب المعاصر، وعندما يقدم على جمع بعض الدراسات التي ينتظمها خيط فكري واحد، ونسق بحثي متميز، فلأنه يريد أن يضيف إلى المكتبة العراقية المعروفة بعلميتها ورصانتها الشيء الكثير"(١)

ومؤرخنا مقل في نتاجه العلمي كونه يؤثر التأني، وان الكتابة التاريخية لديه (قضية)، ويؤرخ لموضوعات التاريخ المعاصر ذات المعالجات (البكر)، ويضفي عليها بهاءاً من التحليل وتفكيك الأحداث واعادة صياغتها بالاستناد إلى المصادر والوثائق الأساسية، وفق المنهج العلمي الأكاديمي الواضح، وكتاباته تنساب منها التلقائية وحيوية الفكرة المرتبطة بالعنوان والموصلة إلى النتائج الدقيقة، المرتبطة بعضها مع البعض وفق نسيجها الفكري وتحقيبها الزمني المكون للأحداث بصياغات وتعابير دقيقة معبرة عن مضامين الحدث.

والحفو يميل دوماً حتى أثناء مناقشاته وجلساته العلمية إلى توظيف الأحداث التاريخية واستخلاص العبر منها، في محاولة منه إلى ربط الأجزاء بعضها مع الآخر لفهم الحاضر والسعي لاستشراف المستقبل، وقد قيل إن التاريخ كله تاريخ معاصر.

وعلى الرغم من اهتمام الحفو بتخصصه في مجال الكتابة التاريخية، واثبت انه مؤرخ قدير، غير انه ما يلبث أن يعود بين الفينة والأخرى، إلى هاجس الشعر والإبداع الذي امتلكه منذ سبعينات القرن الماضي المضمخة بالاطلاع على الفنون الشعرية، والقراءات المعمقة لدواوين الشعراء العرب والأجانب، فضلاً عن قيامه بنظم القصائد الشعرية وعلى نحو خاص النثرية منها، وله في ذلك دواوين عدة مخطوطة، وقصائد منشورة، وحسبي أنها مسحة الإبداع التي امتلك ناصيتها الدكتور الحفو، مؤرخاً وشاعراً في آن واحد،

الأولى تعتمد الصنعة والثانية تتخذ الاحتراق الذاتي والوجداني مجالها الأرحب. ومن اجل ذلك كله كنت تواقاً للكتابة عن ملامح من منهجيته التاريخية وتجربته الشعرية.

نظرة في سيرته العلمية:-

ولد غانم محمد محمود محمد الحفو في مدينة الموصل، محلة باب العراق ٣ ايلول سنة ١٩٤٦، أنهى دراسته الابتدائية في المدرسة المنصورية ١٩٥٨-١٩٥٩ ودراسته المتوسطة في المتوسطة المركزية١٩٦١-١٩٦٢ ثم في الإعدادية الشرقية١٩٦٣-١٩٦٤ وممن تتلمذ عليهما في تلك الحقبة د.عمر الطالب والأستاذ هاشم سليم. ثم أكمل دراسته الجامعية في جامعة بغداد، حيث حصل على شهادة البكالوريوس بكلية التربية، قسم التاريخ سنة ١٩٦٨، وهو يذكر باعتزاز أساتذته الذين تتلمذ عليهم في الكلية وهم: الدكاترة: فاضل حسين وجواد علي وعبد ا الفياض ومحمد الهاشمي وحاتم الكعبي وحسين أمين[٢].

عين الحفو في مديرية التربية وعلى الملاك الثانوي بصفة مدرس في ٨ آذار ١٩٦٩ [٣]. وتنقل في مدارس عدة هي(ثانوية القوش، وثانوية بعشيقة ومتوسطة الحرية وثانوية أم الربيعين. وفي ١٨ ايلول١٩٧٧ قدم استقالته لغرض إكمال دراسته العليا في فرنسا وعلى نفقته الخاصة، حيث حصل على شهادة الماجستير في جامعة بواتييه سنة ١٩٧٩، عن رسالته الموسومة (المعارضة السياسية العراقية وحركات عشائر الفرات الاوسط١٩٣٤-١٩٣٦م). كما حصل على شهادة الدكتوراه في الجامعة نفسها سنة ١٩٨١ عن أطروحته الموسومة (العراق في مواجهة الحرب العالمية الثانية)، وقد ناقشه اثنين من المستشرقين هما (شارل بيلا ودومنيك شفالييه) ويعمل حالياً على ترجمتها مع رسالة الماجستير تمهيداً لنشرهما باللغة العربية. وبعد حصوله على شهادة الدكتوراه ورجوعه إلى الوطن، عين في جامعة الموصل (مدرساً) في كلية التربية، وذلك في ٢ كانون الثاني ١٩٨٢[٤].

تدرج في الألقاب العلمية حتى حصل على مرتبة الأستاذية في ٢٥شباط١٩٩٦ في تخصصه الدقيق تاريخ العراق المعاصر، وأوكلت إليه مهام تدريسية لطلبة الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه في كليتي التربية والآداب، جامعة الموصل، ومنها في كلية الآداب في جامعتي أربيل ودهوك، ومن تلك المواد التدريسية:

- أصول البحث التاريخي(ماجستير)
- العراق المعاصر: التحولات الاقتصادية والاجتماعية(دكتوراه)
- العراق المعاصر: التطورات السياسية (ماجستير)

- النهضة العربية في العصر الحديث (دكتوراه)
- دراسات في تاريخ الوطن العربي المعاصر: المشرق العربي (ماجستير)
- الأحزاب في العراق وموقفها من القضايا الخارجية (دكتوراه)
- التيارات السياسية في الوطن العربي (دكتوراه)
- دراسات في التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر(دكتوراه)
- تاريخ التدوين التاريخي (دكتوراه)
- تاريخ النهضة الفكرية في المشرق العربي (دكتوراه)
- دراسات في تاريخ الفكر السياسي الاوربي الحديث(دكتوراه)(٥).

وتراه في محاضرات طلبة الدراسات العليا، يسيح في موج من التحليلات العلمية ويفيض بالآراء المفضية إلى تلاوين الآراء الفلسفية، وفوق ذلك يحرص دوماً على توصية طلابه بالاهتمام والتمسك بالقيم الفاضلة جنباً الى جنب مع تلقي العلم، فهو يؤمن بأن كل جيل له ظرفه وزمانه ولكن لابد من التمسك بالفضائل كالصدق والخلق القويم، والوفاء والأهم الإخلاص للوطن، فليس هناك-كما يرى-عصفور لا عش له يأويه-ثم يشدد على ضرورة وعي المواطنة الحقة المؤطرة بصون الكرامة واحترام الآخر، ومتابعة الحكمة والعبرة التي يزخر بها تراث الأجداد والرواد، في الصلة المخلصة بين التراث والمعاصرة(٦).

وأشرف مترجمنا على العديد من الرسائل والأطاريح الجامعية التي بلغ عددها حتى سنة ٢٠١٠ (٢٤) رسالة ماجستير و (١٣) أطروحة دكتوراه، فضلاً عن اسهاماته في مناقشة عشرات الرسائل والأطاريح الجامعية، كما له أكثر من (٢٠) مشاركة في ندوة ومؤتمر علمي داخل العراق وخارجه، وله اسهامات في العديد من الموسوعات العلمية والتاريخية، منها موسوعة الموصل الحضارية (جامعة الموصل) وموسوعة التاريخ الإسلامي (جامعة القاهرة) وموسوعة العراق الحضارية (جامعة الموصل) وموسوعة المفصل في تاريخ العراق المعاصر (بيت الحكمة /بغداد)، وأنجز أكثر من (٣٠) بحثاً علمياً نشير إلى بعض المنشور منها:

- ثورة العراق مايس١٩٤١في إستراتيجية الدول الكبرى، مجلة آداب المستنصرية، جامعة بغداد/ ١٩٨٤.
- ملامح من السياسية البريطانية تجاه العراق بعد الحرب العالمية الثانية، مجلة آفاق عربية/ بغداد، ١٩٨٥
- العلاقات العراقية الفرنسية ١٩٦٨-١٩٨٤، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، ١٩٨٨

- تطور الحركة الوطنية في الموصل منذ ١٩٤١-١٩٥٨، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد(٥)جامعة الموصل، ١٩٩٢
- بعثة سبيلمان الفرنسية إلى العراق مايس-حزيران ١٩٤٤، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، ١٩٩٠
- معاهدة ١٩٣٠ودخول العراق عصبة الأمم، موسوعة المفصل في تاريخ العراق المعاصر، بيت الحكمة، ٢٠٠٢
- صدى انقلاب بكر صدقي في الصحف الفرنسية، مجلة مه تين، دهوك، ٢٠٠٢

كما أصدر عدداً من الكتب التاريخية التي تبحث في الفلسفة وأحداث تاريخ العراق المعاصر والوطن العربي الحديث والمعاصر، منفرداً أو بالاشتراك مع زملائه التدريسيين وهي:-

- تاريخ الوطن العربي المعاصر (بالاشتراك) الموصل، ١٩٨٦
- قضايا عربية معاصرة (بالاشتراك)، جامعة الموصل، ١٩٨٨
- دراسات في فلسفة التاريخ (بالاشتراك)، جامعة الموصل، ١٩٨٨
- خصخصة الاقتصاد العراقي..الواقع...الاشكالية...المستقبل (بالاشتراك) مركز الدراسات الاقليمية، ٢٠٠٤
- صفحات من تاريخ التكتلات الإقليمية في الشرق الأوسط :العراق إنموذجاً (١٩٤٦-١٩٥٩)، مركز الدراسات الاقليمية، ٢٠٠٥
- أفكار في السلطة وحقوق الإنسان، مركز الدراسات الاقليمية، ٢٠٠٥
- الكورد والأحداث الوطنية في العراق خلال العهد الملكي ١٩٢١-١٩٥٨(بالاشتراك)، دهوك، ٢٠٠٥
- وجوه وقضايا سياسية من تاريخ العراق المعاصر، مركز الدراسات الاقليمية، ٢٠٠٦
- الامبراطورية العثمانية، دراسة في نشأتها وتطورها وسقوطها (مترجم عن الفرنسية)، مركز الدراسات الاقليمية، ٢٠٠٧
- من قضايا السياسة الخارجية العراقية:دراسات ومقالات(مخطوطة).[٧]

ولباحثنا أنشطة علمية أخرى تتمثل بإلقاء المحاضرات خلال المواسم الثقافية بجامعة الموصل في كلية التربية، قسم التاريخ والدورات التربوية لمحافظة نينوى بين عامي ١٩٨٨-١٩٩٤ومنها:

- ملامح من تاريخ العراق السياسي المعاصر
- المقاومة العربية الفلسطينية:البداية والآفاق
- الصحافة مصدراً للتاريخ المعاصر

- التنافس البريطاني-الألماني في العراق١٩٣٢-١٩٣٩
- الأوضاع الاقتصادية في العراق خلال الحرب العالمية الثانية
- فلسفة التاريخ:آراء واتجاهات
- تاريخ العراق المعاصر:كيف يدرس وكيف يدرس

كما لديه عدداً من المقالات المنشورة في الصحف العراقية تتناول موضوعات فكرية وتاريخية عديدة حول تاريخ العراق المعاصر، ونذكر منها:

- حول موقع الشعر في فلسفة الحضارة، جريدة الجمهورية (البغدادية)، العدد (٥٢٨٠)، ١٧ شباط ١٩٨٤.
- ملاحظات في السلطة وارشفة التاريخ وكتابته، جريدة عراقيون (الموصلية)، العدد(١٨) ٢ آذار ٢٠٠٤. وترجم هذا المقال الى اللغة الكردية الاستاذ آزاد عوبين صالح، ونشر في مجلة رامان (اربيل) العدد(٩١)، كانون الاول٢٠٠٤.
- الفكرة الديمقراطية وصداها في العراق خلال عهد حكم الاتحاديين١٩٠٨-١٩١٨، جريدة الحدباء، العدد(٥٣)، ٧ كانون الاول٢٠٠٤.
- المستبد والدين والفضيلة، جريدة عراقيون (الموصلية) الاعداد (٣٩، ٣٨، ٣٧) تموز ٢٠٠٤
- ملاحظات حول حقوق الانسان في المجتمع المدني، نشرة متابعات اقليمية، مركز الدراسات الاقليمية، العدد (١) كانون الاول٢٠٠٣.
- قراءة عصرية لافكار يوسف السويدي السياسية، جريدة فتى العراق (الموصلية) العدد (٥٦)، ٦ كانون الثاني٢٠٠٥
- صورة من اشكالية العلاقة بين السلوكية الديمقراطية والعرف الدستوري في العهد الملكي، مجلة الصوت الآخر (اربيل) العدد (٤٩)، ٣٠ مايس ٢٠٠٥
- من ارشيف النشاط الالماني في العراق ١٩٣٢-١٩٣٩ :قراءة من وجهة النظر البريطانية، مجلة الصوت الآخر، (اربيل)العدد(٥٨)، ٣٠ آب ٢٠٠٥.
- سوريا والرهان الصعب على مائدة الازمات الاقليمية، نشرة تحليلات استراتيجية، مركز الدراسات الاقليمية، العدد(٣)ايلول٢٠٠٥[٨].

وقد كلف مترجمنا بعدد من المهام العلمية والادارية خلال مسيرته العلمية وهي:

- عضو لجنة الترقيات العلمية في كلية التربية١٩٩٧-٢٠٠٥
- رئيس لجنة الترقيات العلمية في كلية العلوم السياسية٢٠٠٣-٢٠٠٤

- رئيس تحرير (مجلة دراسات اقليمية) مركز الدراسات الاقليمية، ٢٠٠٣-٢٠٠٤
- عضو الهيئة الاستشارية لمجلة (دراسات موصلية) مركز دراسات الموصل.
- عضو اتحاد المؤرخين العرب وجمعية المؤرخين العراقيين ونقابة المعلمين العراقيين-فرع نينوى.

وشغل منصب مدير مركز الدراسات الاقليمية (٢٠٠٣-٢٠٠٦)، ويعمل حالياً استاذ التاريخ الحديث والمعاصر في كلية التربية ورئيساً للجنة الدراسات العليا في قسم التاريخ وقد حصل خلال مسيرته العلمية التي ناهزت الاربع عقود على اكثر من ١٨ كتاب شكر وتقدير، لجهوده العلمية وذلك من قبل السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي ووكيله والسيد رئيس الجامعة وعدد من العمداء، فضلاً عن حصوله على عدد من الشهادات التقديرية وآخرها شهادة تقديروعرفان ومنحه درع الابداع من مركز دراسات الموصل في ٢ نيسان٢٠٠٩ وشهادة تكريمية ودرع التميز العلمي من مركز الدراسات الاقليمية في ٢٩ ايلول ٢٠١٠[٩].

اراؤه حول التاريخ وكتابته:

ينطلق الحفو بوصفه مؤرخاً اكاديمياً من سبر أغوار البحث العلمي في مجال تخصصه الدقيق، (تاريخ العراق المعاصر)، من التعريف الشمولي للتاريخ ومدى ارتباطه بالسلطة في كل زمان ومكان، فيشير الى ان "التاريخ معرفة شاملة لكل نشاط فكري ومادي يمارسه الإنسان، وله أبواب متنوعة عديدة، سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية" ويمضي مؤرخنا في ايضاح حدود الأطراف التي تساهم في صنع التاريخ وهل تتشكل من الفرد ام النخبة ام السلطة ام ثمة مسافات واحداث متشابكة بعضها مع البعض الآخر فيؤكد ان "السلطة مقترنة دائماً بالتاريخ والتي مازال لها الريادة في قيادة المجتمعات الانسانية، الا ان الصعوبة مازالت تكمن في طيات التاريخ السياسي، بل ان الكتابة فيه مازالت تواجه عقبات جمة، فالذي يصنع التاريخ السياسي يبقى متفرداً ان كان فرداً او نخبة لزمام السلطة المحددة للحركة الحضارية في صيرورتها الدائمة" ويمضي الحفو في إيضاح المسارات التي تهتدي بها السلطة في إطار تكريسها لواقعها وديمومتها ونقائضها بالقول "السلطة تحمل في جنباتها نقيضها التاريخي المزمن مع نفسها ومع الآخرين، وتسير باتجاهين متعاكسين، الظلم ونقيضه العدل، والتدهور والنخر والسقوط ونقيضه البنّاء. ما يربط بالسلطة هو صناع الحدث والفعل التاريخي، وقد يعتقدون انه من المفضل بقاء هذه الفكرة في الكتمان، وهذا هو عين الإشكالية التي تنعكس ليس على المؤرخ

وحده، بل على حركة المجتمع باتجاهها الـصائب ايـضاً. وتبقـى الـصورة التاريخية لهذا الفعل التاريخي غامضة ومظلمةان هـم حملوهـا معهـم عنـد مغادرتهم الحياة وفي غالب الاحيان تبقى معهم الى الابد، وهنا يكـون الحـدث السياسي صورته النسبية على حساب الحقيقـة التـي هـي جـوهر المعرفـة التاريخية"[١٠]

وعن دور المؤرخ ان كان طرفاً مباشراً في عمليـة ارخنـة الحـدث التاريخي ومدى افصاحه عن امكانياته وقابلياته الذاتية والشروط الموضـوعية التي تفعل فعلها في اعادة تشكيل الحدث التاريخي، يقول مؤرخنا: "ان القابليـة الذاتية للمؤرخ لها فعلها ايضاً في صياغة البناء العام للفعل التـاريخي، وهـذا لايحصل الا اذا كانت جزئيات الحدث قد اخذت حـدها الادنـى علـى الاقـل للاحاطة بهذا الفعل التاريخي، اما الحد الاقصى فهو مايسعى اليه المؤرخ، ليقدم لنا فهماً عميقاً للحدث التاريخي وفي ضـوئها يعطينـا اسـتنتاجات متماسـكة ومنطقية وهادفة" وفوق كل هذا ينبه الحفو الى اهمية الاحاطة بكـل ظـروف ودقائق الحدث التاريخي بما فيه عملية التكرار في سياق الاحـداث التـي قـد تفضي الى سياقات فلسفية متعلقة بالمفاهيم التاريخية، فيقول" التكرار في الحدث التاريخي هو مايحير المؤرخ في معرفة جدوى التاريخ، والخوض فـي هـذا المفهوم يدفعنا الى مجاهل فلسفية متعددة المفاهيم والاغراض، مع هذا فالتكرر يحدث دائماً اذا تعامل صانع الحدث بشكل خاص مع الصورة المادية للتـاريخ، اما الصورة الفكرية وان حصل فيها تكرار فهي تدخل في طائلة المثالية المطلقة اولاً ثم الاضافة والحذف في بناء وتكوين الفكرة ثانيـاً"[١١]. ويعـود مؤرخنـا ويشدد على اهمية ايضاح العلاقة الجدلية بين الحـضارة والعمليـة التاريخيـة وكيف ان الحضارة هي اصلاً فعل دائم ومتصل وان العملية التاريخية لاتأخـذ ابعادها الحقيقية بمعزل عن التأثير الحضاري للامة، بل هي تتمثلها وتهضمها، فيرى:" ان تفاعل الحضارات القديمة قديم قدم الحضارة نفسها، والصورة البديلة لهذا التفاعل في الصورة الحضارية تأخذ إطارها المحدد في عمليتـي الهـضم والإبداع للأنماط المتعددة، وهذا يرتبط بالنفس الامبراطوري لدى صناع التاريخ في الحقل السياسي، فكثير مايحصل التماثل في السلوك والصورة الحضارية في هذا التشكيل عبر التاريخ، وهذا يعتمد بدوره على معادلة جدلية تأخـذ مـسار الهدم ونقيضه النمو والابداع"[١٢].

وللدكتورغانم الحفو، جملة من المنطلقات الفكرية التي ينحت بها كتاباتـه ويؤطر منهجه العلمي الاكاديمي بها، والتي تفضي إلى تقديم صورة مـن رواه الصائبة الممحصة عبر القرارات المتعددة والاطلاع على المـدارس الفكريـة

التاريخية وتشربه بالمناهج والتفسيرات المتعددة للعملية التاريخية، فيعود ليشدد على ان التاريخ بمجمله هو تفاعل (النخبة والجماهير) وعندما تكبر الهوة بين الاثنين يقرع ناقوس الخطر، فيتحول الأمر أخيراً أما إلى الثورة أو الفوضى، وحينها تكون السلطة بمفهومها العام مهددة فيختلط البرئ بالمزيف، وعندها تسقط حضارة ما لتولد على أنقاضها حضارة أخرى. كما يوضح الحفو، إن لابد من وجود المعادل التاريخي الذي يفضي إلى التوازن الروحي المادي بمساره المطلق وعند اختلال توازن هذه المعادلة، تتكرر مقابلها نقيضة التاريخ الأبدية(الظلم-العدل)ووفق هذا الجدل المحتدم يعود باحثنا مرة أخرى ليوضح " إن القوة المطلقة لازالت تحدد مسارات التاريخ، والقوة الغاشمة تشويه ودمار للتاريخ، في حين إن القوة العادلة هي إعادة التاريخ إلى توازنه ورشده، والإرادة المشتركة لشعب ما تدفعه إلى تكون (مثل عليا سامية) أو (يوتوبيا) التي هي بدورها تعني فيما تعني تحويل المتصور الأفضل إلى واقع متحقق، يستظل بها ويصنع من خلالها قدره التاريخي والشعوب الضعيفة هي من فقدت هذا المعادل الموضوعي فسهلت بدورها على القوة الغاشمة أهانتها، ومن ثم وقوعها فريسة الابتلاع الاحتواء"[13].

وفي إطار النظرة العلمية المنهجية الأكاديمية، يعود الحفو ليوضح رأيه ويشدد على أن الكتابة التاريخية، وفق النسق العلمي المنهجي لا يمكن ممارستها من قبل (الهواة) بعيداً عن التخصص، لأنهم سيقعون في الخطأ من جراء الابتعاد عن المنهج العلمي وعدم الاتساق من التأويل التاريخي المستند إلى فهم وإدراك عميقين للتفسير التاريخي القائم على النقد والتحليل، ويعبر عن ذلك بقوله:" كتابة التاريخ من أصعب المهن، ولا يكفي الحصول على الحقيقة الموضوعية فحسب، وإنما استنباط العبر والدروس من تفاعل الأحداث في صيرورتها الدائرة، وإلا تحول التاريخ إلى مسرحية أشباح عبثية، وبهذا فإن العامل الأخلاقي يشكل من نقد وتحليل الأحداث، وفي الوقت عينه يكون هذا العامل بدوره هو حصيلة تجاوز للتكرار والأخطاء وإضافة نوعية مجردة لفهم تقدم التاريخ سلباً أو إيجاباً [14]

كما يوضح مؤرخنا بأن من حق أي أمة من الأمم أن تكتب تاريخها لتفتخر به، ولكن علي وفق أية صيغة؟ وهل يكتب كيفما اتفق أو اعتماد الانتقائية في الكتابة أم التركيز على الجانب المضيء وترك المظلم؟، هنا يؤكد الحفو أن على كتاب التاريخ الاهتمام بما هو ناصع أو قبيح ويعلل ذلك بقوله: " لأن الفرق بين الحالتين هو من يقدم الأفضل للإنسان في محنة صراعه مع قدره الذاتي والموضوعي، حيث أن الجوع والفقر والمرض والجهل، هم أعداء

الإنسان عبر التاريخ، لكن هذه لا زالت تتكرر، لا سيما وإن الغرق في اتـون المادية جعل الإنسان المعاصر مهمشاً، ووسع من وحشية أسـطورة (النخـب) بأنواعها المختلفة، وعلتها المكررة والمملة، هي فقدان السمو الروحي بالإنسان ونقله إلى (يوتوبيا) ممكنة التطبيق[١٥].

وباحثنا ماانفك يربط المعادل التاريخي لمعطيـات الأحـداث التاريخيـة السابقة وانعكاساتها على مسارات واتجاهات أحداث التاريخ الحديث والمعاصر، باعتبار أن السلطة المطلقة للقوى الكبرى فعلت فعلها فـي توجيـه الأحـداث التاريخية، وتجئ اليوم الدول الكبرى أو (الإمبراطوريات المعاصـرة) - كمـا يسميها- لتؤسس لكيانها القوي وفق دعائم (القوى المطلقة)، وفي ذلك يوضـح" إن الإمبراطوريات المعاصرة، على الرغم من تسلحها بالتنظيم المبرمج والتقنية المتقدمة لازالت كالإمبراطوريات القديمة، مع فارق الزمن والظـرف، تـؤمن بالقوة المطلقة لصناعة التاريخ مما دفع بعض الآخرين، لاسيما فيهم ممن يخدم أهداف هذه الإمبراطوريات، إلى التبرير العبثي لهذا الـسلوك مـن حيـث إن الشعوب هي مجموعة إرادات تصطرع مع بعضها البعض!ولم يزل التاريخ لا يقدم لنا الأفضل على الرغم من إن صفوة الرسل والأنبياء الذين مثلوا إرادة ا سبحانه وتعالى على الأرض وبشروا بإعادة الأرض إلى توازنها، أعطوا مـثلاً بأن (السلطة المطلقة) و(القوة المطلقة) هي من حصة ا العلي القدير، وليست من حصة الإنسان مخلوقه الفاني"[١٦]

ثم يعود مؤرخنا مرة أخرى ويرصد بعين المـؤرخ المحقـق المـتمعن بالحتمية التاريخية، والمؤمن بثنائية واضداد المفاهيم، التي يحلو لبعض الطغـاة التلاعب بها مع شعوبهم منها (الحرية والأيديولوجيـة، والمبـادئ، الماضـي، الحاضر، المستقبل، الدستور، القانون، الحريات العامة، المـسوؤلية المرتبطـة بالحقوق والواجبات الديمقراطية)، وغيرها... فيوضح هنا: "إن هذه الألفاظ هي نقيض الاستبداد والطغيان، يلعب بها الطاغية فهي تـورق الرخـاء والـسلام والحرية وإذا غابت أو غيبها الطاغية يكون هو البديل اللعين والمأسـاوي".[١٧]

والى جانب هذا كله يشدد الحفو، على أهمية الصلة المباشرة بين حضور أدوات الكتابة التاريخية والعمق الأدبي للمتصدي لهذه المهمة ولاسيما المؤرخ فيقول:" صحيح إن الأسلوب اللغوي والأدبي في طرح الجملة التاريخية وصياغتها هـو المفضل، ولكن التنوع في ذلك مطلوب ايضاً، والمهم هـو إن تظهـر حقيقـة الحدث التاريخي جلية وناصعة "[١٨]

وما يلبث مؤرخنا الإفصاح عن رأيه في ضرورة الاختيار الصائب فـي المنهج التاريخي لدى المؤرخ المنصف ليجـئ عملـه متزنـاً وأراءه صـادقة

وتحليلاته واقعية فيقول:" المنهج التاريخي بأفضل أحواله أن تكون الكتابة التاريخية أقرب إلى الكمال والموضوعية في معالجة الأحداث، ولكن ماذا لو قرأنا التاريخ بأجمعه ووجدنا أن منه ما هو صحيح وما هو مشوه أو محرف!، وما هي النسبة المئوية التي يحققها المؤرخ من ذلك إذا وقف حائراً إزاء (اليوتوبيات) أو (الإيديولوجيات) التي يفضلها الإنسان ولا يطبق أغلبها، وعليه فإن نظريات تفسير التاريخ مطلوبة لكل مؤرخ أو دارس للتاريخ على الرغم من أن هذا يعكس في بعض الأحيان تقاطع الحيادية مع العقائدية، إلا أنها مفضلة إلى فهم حركة التاريخ بمظاهره المختلفة"[١٩] وهنا ينبه الحفو إلى ضرورة الالتفات إلى مصادر التوثيق التاريخي ويأخذ إحداها المتمثلة (بالصحف) إذ أن ليس كل ما ينشر في الصحف هو كل الحقيقة التاريخية، بل على المؤرخ النظر في المعلومات التاريخية بحذر شديد للوثوق من صحتها وذلك لأن "الصحف كما هو متعارف عليه في دراسات التاريخ الحديث والمعاصر، مرجعاً مهماً لا بد منه في معالجة الأحداث والوقائع ومتابعتها بشكل مباشر، ومفصل في بعض الأحيان كذلك، ومع هذا فما تنشره الصحف بهذا المضمار من مضامين يفضل إخضاعه للمراجعة والنقد والتحليل وبمنهجية تاريخية بغية الإحاطة بأمرها ودقة أبعادها، بل التدقيق في الغث والسمين منها، ثم مقارنتها إذ تطلب الأمر بما هو موثق ومتطابق مع المعلومة الدالة على الواقعة التاريخية[٢٠]

وعلى الرغم من أن المعرفة التاريخية والوعي التاريخي، قد ارتبطا لدى العديد من الفلاسفة والمفكرين والعاملين في حقل التاريخ، بالتعمق في البحث عن جدوى الحركة التاريخية وصيرورتها، فإن، الحفو، قد انبرى يناقش عدداً من الآراء والاتجاهات الخاصة بتأويل المعرفة التاريخية، موضحاً، "أن معالجات بعض المفكرين دخلت في نطاق المفاهيم والنظريات والمناهج المتعددة لا سيما (الايديولوجية) منها، ثم استقرت على النظر إلى التاريخ من زاوية مثالية تعتمد الأفكار والتصورات أساساً لفهمه وتحليله، أو اتجاهاً مادياً يعطي للطبيعة أو المادة دورها الفاعل في صنع الأحداث التاريخية، وأحياناً الجمع بين هذين الاتجاهين، ومن ثم استخلاص القوانين العامة التي تحكم حركة التاريخ"[٢١]

ثم يعود ويفسر لنا مؤرخنا أسس وغايات انطلاق تلك المعرفة في دراسة التاريخ مع إيضاح الموقف الواضح من فلسفة التاريخ بقوله: "إن الخط الشمولي لحركة الأحداث التاريخية التي حددتها مناهج فلسفة التاريخ قد انطلقت من أفكار ومذاهب متضاربة أو متطابقة في أحيان أخرى، فالمنطق الأسطوري لفهم

التاريخ كما يظهر، يميل إلى تحييد العقل أو تجاوزه، بغية فهم حركة التاريخ- كما أوضح سابقاً- في حين أن المنطلق الديني يعد الأحداث التاريخية على الرغم من تلونها واختلافها وتطابقها تدخل في علاقة عضوية محورها ا (سبحانه وتعالى) والإنسان والطبيعة "أما المنطلق التطوري لفهم التاريخ فيراه الحفو، قد اختلفت مناهجه بين المثالية والمادية فالنظرة المادية عدت الإنسان والطبيعة حالة جدلية مادية، والتاريخ برأي أصحابها يسير وفق خطوات تقدمية تفاؤلية، تقرها مدى فاعلية العقل والعمل الإنساني، وهناك من جمع بين المادية والمثالية لإعطاء تفسيرات تطورية اجتماعية وعضوية أو جغرافية وحضارية وأخلاقية ونفسية وبطولية فردية للمجتمع الإنساني والحركة التاريخية"[٢٢]

من المعلوم أن تاريخ العراق المعاصر، هو الميدان الأرحب، الذي انطلقت فيه أبحاث وآراء وطروحات الدكتور غانم الحفو، صوب المرتكزات الأساسية المكونة للحدث التاريخي، مع شدة العناية بالنقد والتحليل واستخلاص الغايات المهمة من التجربة التاريخية على أساس من الفهم المنطقي والواقعي الذي تقود إليه تلك الأحداث"، ومن نافلة القول أن تاريخ العراق المعاصر، أتسم جله إن لم نقل كله بتشابك أحداثه وتلاطمها وتداخل المرئي منها بنقيضة مما أدى إلى إفرازات وسياسات وآراء بحاجة إلى مواقف تأملية نقدية جادة من لدن المؤرخين، وهذا ما جعل المؤرخ أو الباحث-كما يرى الحفو "إزاء مهمة صعبة وشائكة ذلك أن إعادة قراءة الأحداث في فترات زمنية مختلفة، وربما على ضوء حقائق جديدة، توصل إلى قناعة منطقية جديدة لفهما بشكل دقيق ومنصف وجلاء الغموض عنها، كما أن إخضاع الأحداث التاريخية إلى منهجية سياسية وايديولوجية أحادية، قد لا توصل غالباً إلى يقين واضح لمعنى هذه الأحداث، وهذا ينطبق على حيثية الكتابة عن مكونات التركيبة العرقية القومية والدينية ضمن إطار الوطن الواحد والهوية الوطنية الواحدة"[٢٣] .

وفي تحليل ذا صلة بما أشرنا له سابقاً، عن طبيعة التطورات السياسية الداخلية المتلاحقة التي شهدها الحكم الملكي في العراق، لا سيما، خلال حكم الملك غازي (١٩٣٣-١٩٣٩) وفي ظل التواجد البريطاني المحكوم بالمعاهدات المبرمة بين البلدين العراق وبريطانيا، والتي أدت إلى تقاطع المصالح بين التطلعات الوطنية والرسمية في بناء الدولة ومؤسساتها والحركة الوطنية، وتكريس الوجود البريطاني من جهة أخرى، يفسر لنا مؤرخنا ذلك التناقض بقوله:" العراق عاش خلال عهد الملك غازي، فترة قلقة اندمغت بطابع العنف والصراعات السياسية المتضاربة والمتلاحقة، مع هذا فهي فترة تظهر للباحث والقارئ معاً، انطباعات أخرى عن العراق، بأنه كان دولة فتية التكوين تحاول

ترسيخ مؤسساتها الجديدة على أنقاض التقاليد السياسية الموروثة، وقد ودعت لتوها هيمنة الانتداب وتعاني من مخاض الاستقلال الدائر بين قيود معاهدة ١٩٣٠[٢٤]، والتناقضات الواضحة في مفاهيم الدستور النظرية وتطبيقاته، والانطلاقة المتنامية لتجربة التيارات السياسية بأبعادها المختلفة والتي كانت قد شرعت شيئاً فشيئاً تأخذ مسارها المتصاعد في خارطة هذه الدولة الحديثة"[٢٥]

أما عن الاتجاهات السياسية التي سادت الحياة السياسية خلال العهد الجمهوري، فيشير مؤرخنا إلى أن "الساحة السياسية العراقية في هذا العهد سادها اتجاهان سياسيان متعارضان مع الديمقراطية الليبرالية الهشة التي سادت العهد الملكي وهي: "الدكتاتورية العسكرية ودكتاتورية الحزب الواحد، كما تضاعف دور الدولة العسكرية، ودور الحزب الواحد في توجيه الحركة الاقتصادية ثم خضع القطاع الخاص إلى الانحسار والمراقبة والإشراف والتوجيه، كما ظهرت واختفت أحزاب وأخيراً، انفردت ظاهرة الحزب الواحد في الحكم."[٢٦]

ان هذه التقلبات في هوية السلطة السياسية العراقية- وفق رأي مؤرخنا-، سادت في دولة فتية نامية، كانت ولا زالت تبحث عن التوازن مع جيرانها والمكانة الدولية اللائقة لها. وذات امكانيات اقتصادية هائلة وواجهت نكبات قاسية الا ان الغالب في الامر، هو الاشكالية المعقدة التي بقيت تتكرر، وتبلورت في سؤال محدد، له علاقة بثنائية سلطوية هي: من يحكم العراق وكيف يحكم؟

إسهاماته الشعرية :

على الرغم من كون الحفو مؤرخاً بارعاً ومقتدراً فإنه يمتلك أدوات الكتابة التاريخية وفق المنظور العلمي والمنهج الأكاديمي، فهو في ذات الوقت شاعراً مجيداً يفيض شعره بالحكمة والشاعرية الجميلة، وفق الاختيار المناسب للمفردة المعبرة والحس الشعري الصادق المفعم بالمشاعر والتي تفيض منها معاناة الانسان الذي يتحسس واقعه، ويتألم لما حاق بمجتمعه وابناء جلدته، فهو شاعر صاحب قضية ونظرة وفلسفة في الحياة محصتها التجارب المستفيضة، والقراءات المتلاحقة في أمهات الكتب التاريخية والمدارس الأدبية معاً، فجاء شعره منساباً يفيض وجدانية وأحاسيس مرهفة تشعرك بفيض العاطفة الصادقة وبراعة التراكيب المعبرة عن جدلية الحياة والصراع المحتدم دوماً بما يفيض به العقل وتتجاوب معه النفس الصافية.

حدثني الدكتور غانم الحفو عن صلته بالشعر والتي تعود إلى عام ١٩٦٤، عندما كان طالباً في الإعدادية الشرقية، فكانت أولى محاولاته في نظم القصائد

الوجدانية القريبة إلى النثر، واستمرت محاولاته تلك خلال دراسته فـي كليـة التربية، جامعة بغداد (١٩٦٤-١٩٦٨) فاتجه صوب القراءة وتـذوق الـشعر، وبعد تخرجه من الكلية وتعيينه مدرساً في التعليم الثانوي-كما سبق ذكره-أقبل على قراءة الروايات والقصص لبعض الكتاب والمفكرين والأدباء العرب منهم والأجانب، امثال: نجيب محفوظ، وديستوفسكي، وتشيخوف، ومكسيم غـوركي والبير كامو وكولن ولسن وغيرهم، وكانت تلك التجربة في القراءة لها أثر كبير لاحقاً في الدراسات التاريخية، وفي الوقت عينه شده الاهتمام بدواوين الشعراء الأقدمين إلى جانب الشعراء المحدثين والمعاصـرين، مـع الاهتمـام الـشديد بالدراسات التاريخية والأدبية والفلسفية والصوفية مما ولّد لديه الحاجـة إلـى ممارسة نظم الشعر النثري، فضلاً عن كتابة تأملات فلسفية وأدبيـة وفكريـة عامة.[٢٧]

لم يكتب شعر التفعلية الموزون (الشعر الحر) إلا في حدود عـام ١٩٧١، إذ نشرت له أول قصيدة في هذا المجال والتي كانت بعنوان (حين يشرق وجـه الحقل).[٢٨]

كانت دوافع نظم الشعر لديه عديدة في حينها، أبرزهـا الـوعي الثقـافي والتاريخي المتراكم، والإحساس المرهف بالحياة والأشياء، والبحث عن معنـى موضوعي يوتوبي (أي تصور البديل الأفضل) يتجاوز الوعي الذاتي المعـاش إلى وعي شمولي ومتقدم.

بين عامي ١٩٧٣-١٩٧٥ تبلورت لدية فكرة نشر أول ديـوان شـعري، وبالفعل تم طبع الديوان ونشر ضمن منشورات المركـز الثقـافي الاجتمـاعي لجامعة الموصل في كانون الأول ١٩٧٦، والموسوم (إشارة عادية إلى مملكـة الألوان) احتوى على خمس عشرة قصيدة، وكان أول وآخـر ديـوان شـعري ينشره لظروف خاصة، وعن وضعيته الشعرية في تلك المرحلة حدثني قـائلاً: "وفي واقع الأمر، كانت الحالة الشعرية في هذه الفترة مهيمنة على كل أهـدافي الثقافية والفكرية، حتى تولد لدي بعض الإحساس بأن الـشعر سـيغدو مهنتـي الوحيدة، ولكن جرت الرياح بما لا تشتهي السفن"[٢٩].

وفي حدود منتصف عام ١٩٧٧ولأسباب موضوعية وظرفية، تشكل لديه شعور خفي وذاتي بأن القراءات المكثفة والمتواصلة بدأت تأكل مـن صـحته ونشاطه وكان لوهج نظم الشعر أثر في ذلك، كما راودته فكرة السفر والدراسة العليا خارج البلاد، بعد أن سدت أمامه فرصة إكمال الدراسة فيها (لأسـباب لا يرغب بالخوض فيها). بل ساد لديه الاعتقاد بأن السفر والطواف فـي بعـض جهات العالم، قد تقدم إليه إضافة نوعية جديدة للفهم المعرفي وتعميق الإحساس

بمعنى الحياة، وأخيراً استقر به المطاف في مدينة بواتييه بفرنسا-كما أشرنا أنفاً- لدراسة الدكتوراه في تاريخ العراق المعاصر. ومع هذا وخلال الدراسة هناك بقي هاجس الشعر يطارده بين الفينة والأخرى، فكتب قصائد متفرقة عديدة وفق الظرف والزمان وضمت في ديوان خاص والموسوم (للذي اصطاد القمر). وبعد إكمال دراسته للدكتوراه في فرنسا، وعودته إلى البلاد جد في قرض الشعر فكتب قصائد تجاوزت العشرين قصيدة أضيفت إلى دواوينه المخطوطة.(٣٠)

وحينما سألته عن آخر كتاباته للقصائد الشعرية أجابني "لم أمارس كتابة الشعر حالياً إلا الندرة النادرة، وتركت ذلك للظروف أيضاً"، ثم عاد واستدرك قائلاً إلا أنني لم أنقطع عن قراءة الشعر الذي له مواصفات الإبداع والعمق الفكري"(٣١) أما عن أبرز الشعراء الذين استهوى شعرهم وشاعريتهم قديماً وحديثاً استهل إجابته بالقول:" قبيل وبعيد نظمي للشعر الحر، وحالي هنا هو حال الكثير ممن ينظم الشعر، كان لدي اعجاب بشاعرية كثير من الشعراء، لا سيما وجدانهم الشعري والفكرة التي عبروا عنها بشعرهم.وكنت أعي هذه المسألة منذ بداية نظمي للشعر، ولكن بمرور الوقت ينسج كل شاعر خصوصيته الفنية والبنيوية في نظم الشعر، لقد قرأت وأعجبت بشعر العديد من الشعراء وفي المقدمة منهم، شعراء المعلقات السبع، وأبي العلاء المعري والمتنبي وفي الشعر الحديث كان في المقدمة منهم، بدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، ونزار قباني، وعلي أحمد سعيد المعروف بـ (ادونيس) ومحمد مفتاح الفيتوري، ومحمد الماغوط وأمل دنقل وصلاح عبد الصبور، ومحمد عفيفي مطر، واحمد عبد المعطي حجازي "وعن قراءاته لأبرز نتاجات الشعراء الأجانب يذكر منهم: مايكوفسكي وبوشكين وناظم حكمت، وبول الوار، ورامبو، وبودلير وبابلو نيرودا وجاك بريفير.(٣٢)

وخلال مسيرته الإبداعية في قرض الشعر، يرى ان العطاء الشعري له في السبعينات أكثر منه في الثمانينات من القرن العشرين، مع تأكيده على بقاء الشعر حالة وجدانية وموضوعية وفنية، واحتراق ذاتي وجذوة ملتهبة ترافق الإبداع والرؤية الشمولية للأشياء، ولديه أن الشاعر المبدع هو من يكرس حياته وشعره (ليوتوبيا) لها الصورة الأفضل خارج نطاق المأساة البشرية الطاحنة، كما أن الشاعر الأصيل هو من يطارد تكاملية المعنى لدى الإنسان حتى في أدنى درجاتها على الأقل، ويتشبث في الوصول إلى عالمه. وربما يكون هذا التصور معبراً عن تشكيلة المعنى للشعر الأصيل في الزمن الآتي.(٣٣)

ويفصح الحفو عن تصوراته الواضحة المعبرة عن أهمية تعزيـز الجهـد الإبداعي للشاعر بعناصر الثقافات الواسعة والتي يجدها ضـرورية، لأن هـذه القضية من وجهة نظره تبدو نسبية، وفق البنية الثقافية لكل شاعر، وقد تختلف من شاعر لآخر، فضلاً عن اختلاف التجارب الشعرية بين الشعراء أنفسهم، إذ أن الشاعر المعاصر وكما يراه -شاعرنا-، لا يزال مشدوداً بين الإرادة الذاتية وبين العالم الفسيح المعقد والمقفل أمامه ويشدد الحفو هنا، على أهمية التمييـز بين أنواع من الشعراء في حالة التصنيف الإبداعي، فقد نرى من الشعراء مـن هو مغترباً أو شريداً أو يبحث عن يوتوبيا مفقودة، ومنهم من يـستهلك وعيـه الثقافي بشكل مجاني كي يجد له ظلاً دافئاً يدفن وعيه فيه، ومنهم مـن يـسابق الأضواء ويداهن السلطة، ومنهم من استهلك أدواته الشعرية وجذوته الفكريـة واقفل على نفسه ويقتات على الشهرة، ومع ذلك تبقى قـراءة الـشعر ونظمـه تتأرجح بين الذاتية والموضوعية، لأن الشعر يبقى دائماً فن إبداعي خاص قائم بذاته، وهناك من يتذوقه أو يتذوق لوناً خاصاً منه، وهناك من يفضل النظر إلى الحياة الاعتيادية بسهولة ومعايشتها كما هي، دون الغوص في أعمـاق الـشعر الذي يهذب النفس ويعطيها معاني إنسانية سامية.(٣٤)

وفي هذا الإطار يطرح الحفو وجهة نظره، إذ يـشير إلـى أن الـشاعر المعاصر عليه أن يميز بين تراثه وتراث العالم، أي بين بيئته والبيئات العالمية الأخرى، وأن يجد مكانه الصحيح بين هذين البعدين من الثقافات، وعليه البحث عن ملكاته الإبداعية خلال طرح الأفكار الشعرية وتجنب التناقض والمجاملـة والابتعاد عن الغموض غير الدال على الفكرة.(٣٥)

كما يؤمن -شاعرنا- بأن على الشاعر المعاصر، البحث عن أدوات فنيـة جديدة، لأن الأفكار قد تتكرر، والأحاسيس قد تتشابه لدى الكثير من الـشعراء، لكن الوسائل والأدوات الفنية هي التي تعطي للشعر الصورة اللغوية المبدعـة، والموازنة الصحيحة بين المحلية والكونية، كما أن للشاعر المعاصـر، مهمـة أخرى، هي تجنب الوقوع أسير الأحكام الذاتية والنظريات والمصطلحات النقدية التي غدت أشبه ما تكون بالشبكة والنظريات المعقدة من الألفاظ المجـردة. لأن هذه النظريات في أساسها قامت على أكتاف إبداع الشعراء أنفسهم، بل كثيـراً مما أخمدت أنفاس مواهب شعرية كثيرة، في حين أنها تمجد في بعض الأحيان بمواهب عادية وتجعل منها مواهب خارقة، ويختم الدكتور الحفو آراءه الأدبيـة بالتأكيد على، أن الشاعر شاهد على الحياة، وبإمكانه أن ينسج معالمهـا بلغتـه الشعرية الجديدة، والمبدع هو من يراها كل يوم بوجه جديد.(٣٦)

لم تتح الفرصة لنشر جميع أعماله الأدبية، فبقيت دواوينه الشعرية محفوظة تنتظر الفرصة لنشرها في قابل الأيام، على الرغم من نشر بعض قصائده في الجرائد والمجلات المحلية، ولعل أبرز أعماله الأدبية، ديوانه المنشور، والموسوم (إشارة عادية إلى مملكة الألوان)، واقتطف هنا مقطعاً من قصيدة (رقصة ثلاثية للزمن المألوف)

حدثني..
قاموس الشهداء
عن كابوسٍ يرعب حتى الموت
حدثني..
قبل طلوع الفجر
شيئاً
عن أوجاع الثوار-الشعراء
حدثني....
عن قمر أخفاه دمي
بين عروق الخبز
ومقصلة التعذيب-الزنزانة "[(٣٧)]

أما أعماله الأدبية المخطوطة، فهي عديدة، منها (خواطر في جبهة الحياة) كتبت هذه الخواطر بين عامي ١٩٦٨-١٩٧٠ وأشتملت على (٢٥) خاطرة. وديوان (النوارس تفضل البحر دائماً) وهو قصائد نثر تضم (١٢) قصيدة، وديوان (تأملات في أسئلة ممنوعة) وهي قصائد من الشعر الحر ضمت (٣٧) قصيدة وديوان (البحر والكلمات) وضم (٩) قصائد منها قصيدة (العداء واللعبة) ومما جاء في مقطع منها:

تعدو..
هلعاً....
تتحرى وجه الظل
المسكون بحرب الواحد ضد الواحد
والكل يدين الكل
بطلسم هذي اللعبة
لاينجو أحد من هذا البحر
العاصف
والرقم الوهم
مع وقف التنفيذ.[(٣٨)]

كما ضمت ديوانه المخطوط (للذي اصطاد القمر) (٧) قصائد كتبت بأجمعها خلال دراسته خارج البلاد، وأشير هنا إلى مقطع من قصيدة(للذي اصطاد القمر)التي حملت عنوان الديوان، فيقول:

هل أهرب من منفى الغربة للغربة؟
انفضت من مجلسها
" آلهة " التيه
ومعبدها
ومض يبحث عن وجه الثائر والناسك والقديس.[٣٩]

ومن دواوينه الشعرية المخطوطة أيضاً ديوان (بصمات النهر الصامت) وضم (١٦) قصيدة، أما ديوانه المخطوط الأخير فهو (سلاماً أيتها الهاوية) وضم (٢٠) قصيدة ونقتطف هنا مقطعاً من قصيدة (سنوات هرمة) جاء فيها

"...
مدني
هجرت حليتَها
وانكفأت صماء
أوقاتي....
أنقاض من نُكر الأصحاب
وبخل الصدق
وجهل الزمن المتداعي
في الثرثرة العمياء[٤٠]

الخاتمة:

يعد المؤرخ الدكتور غانم الحفو، أحد أبرز الأساتذة المتخصصين في مجال الكتابة التاريخية لا سيما تاريخ العراق المعاصر، وفق المنهج العلمي الأكاديمي المستند إلى النقد التحليلي في الاستنتاج والإستدلال.

إمتازت نتاجاته العلمية وعلى نحو خاص، المؤلفات والبحوث، بالرصانة ودقة اختيار الموضوعات المهمة والمفصلية في أحداثها وتأثيراتها.وكان منهجه واضحاً من خلال طبيعة المناقشات لعوامل الأحداث التاريخية من حيث العلة والمعلول-ويتراءى لي-بأنه أقرب إلى المنهج الهيكلي أو الجدلية الهيكلية التي تقوم على أساس (الفكرة+نقيضها=المركب الجديد)، والتي تقوم أساساً على تغليب العقل المثالي على العقل المطلق والذي تقع في حدوده الأحداث التاريخية وبمعنى آخر أن صراع المتناقضات هي التي تنتج المعطيات التاريخية

والملامح الحضارية للأمة وهذه المقاربات يمكننا أن نتلمسها في العديـد مـن الآراء والطروحات الآنفة.

وهنا لا بد من التقرير بأن الحفو قد تفوق في طرح أفكاره وآراءه الجريئة القائمة على عمق النظرة الثاقبة للأحداث والمـستمدة مـن القـراءات الجـادة والاحاطة بأبعاد ونتائج وشروط وإفرازات الأحداث التاريخية. كما أن للحفـو القدرة الكبيرة على ربط الجزيئات بعضها مع البعض الآخر، وتوظيفهـا فـي عملية استشراق المستقبل في احايين عدة، وبتصورات مبنية على أساس ثابـت من النظرة الواقعية.

كما لا بد من الإشارة إلى سلاسة تعابيره وعباراته المركزة المعبرة عـن الفكرة المراد معالجتها بوصفه مؤرخاً ذو قضية ورسالة علمية.

وفي الجانب الآخر من عطائه الإبداعي، لمسنا مدى شاعريته وإحـساسه المرهف الموشح باللغة الرشيقة المعبرة عما تجيش به نفسه من آمال وتطلعات حبيسة، ملؤها الدفء والحنو والجدل الذي يتنازعه ويسحبه نحو التأشير لأهمية الفضائل وحب الوطن والجنوح نحو القيم الإنسانية الرفيعة وتأصـيل الوجـود الإنساني وفضائله وكشف زيف الأشياء من خلال الصراع المحتدم دوماً.

فهو عندي-أستاذ متمرس قدير ذو تجربة بحثية علمية معمقة إمتلاك أدواته البحثية العلمية والادبية فاختط بذلك مكاناً متميـزاً لـه فهـو مـدعاة للفخـر والإعتزاز.

الهوامش:

(١) غانم محمد الحفو، وجوه وقضايا سياسية من تاريخ العراق المعاصر(الموصل، ٢٠٠٦)، ص ص ٧-٨ .

(٢) السيرة الذاتية والعلمية للأستاذ الدكتور غانم محمد الحفو، مخطوطة (نسخته الشخصية) ص١.

(٣) كتاب مديرية التربية والتعليم للواء الموصل، المرقم ٩٦١ في ١٩٦٩/٣/١٣.

(٤) كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، المرقم٢/٩/٧ ٢٣٤٠ في ١٩٨١/١٢/٢٦.

(٥) عمر محمد الطالب، موسوعة أعلام الموصل في القرن العـشرين(الموصـل، ٢٠٠٨) ص٣٩١.

(٦) أنظر جريدة فتى العراق، العدد (٥٢)٣١تشرين الأول ٢٠٠٤، ضـيف الأسـبوع (٦) أ.د.غانم محمد الحفو.

(٧) إبراهيم خليل العلاف، أ.د.غانم محمد الحفو، مؤرخاً وشـاعراً، موقـع ملتقـى أبنـاء الموصل، متاح على الرابط .

http: //mosul-network.org/

(٨) السيرة الذاتية والعلمية، المصدر السابق، ص٣.

(٩) المصدر نفسه، ص٥-٦.

(١٠)غانم محمد الحفو، "ملاحظات حول السلطة في أرشفة التاريخ وكتابته"، جريدة عراقيون (الموصلية) العدد (١٨)، آذار، ٢٠٠٤.
(١١) المصدر نفسه .
(١٢) المصدر نفسه .
(١٣) غانم محمد الحفو، من ملف (وثائق وأرشيف خاص) (محفوظ، بحوزته)ص١.
(١٤) المصدر نفسه، ص١.
(١٥) المصدر نفسه، ص٢.
(١٦) الحفو، من ملف وثائق وأرشيف خاص، ص٢.
(١٧) غانم محمد الحفو، أفكار في السلطة وحقوق الإنسان (الموصل، ٢٠٠٤) ص ٢٤.
(١٨) الحفو، من ملف وثائق وأرشيف خاص، ص٣.
(١٩) المصدر نفسه، ص٣.
(٢٠) الحفو، وجوه وقضايا سياسية، ص١٠١.
(٢١) أنظر، غانم محمد الحفو، في: هاشم يحيى الملاح وآخرون، دراسات في فلسفة التاريخ (الموصل، ١٩٨٨) ص٦٥.
(٢٢) المصدر نفسه، ص٦٦.
(٢٣) أنظر، غانم محمد الحفو وعبد الفتاح علي البوتاني، الكورد والأحداث الوطنية في العراق خلال العهد الملكي ١٩٢١-١٩٥٨، (دهوك، ٢٠٠٥) ص٧.وعن التطورات السياسية التي شهدها العراق منذ تأسيسه ، أنظر ما سطره الحفو في جاسم محمد حسن وآخرون، تاريخ الوطن العربي المعاصر (الموصل ١٩٨٦) ص٤٥ وما بعدها .
(٢٤) للتفاصيل عن معاهدة ١٩٣٠المبرمة بين العراق وبريطانيا، يمكن مراجعة عبد الرزاق الحسني، العراق في ظل المعاهدات (بيروت، ١٩٨٣).
(٢٥) الحفو، وجوه وقضايا سياسية.
(٢٦) غانم محمد الحفو وآخرون، خصائص الاقتصاد العراقي، الواقع، الإشكالية، المستقبل (الموصل، ٢٠٠٤) ص١٩.
(٢٧) مقابلتي له في ٩/آب/٢٠١٠.
(٢٨) للإطلاع على القصيدة ، أنظر جريدة الرسالة (الموصلية) ، العدد (١٨٧)، ٢٧ نيسان ١٩٧٣.
(٢٩) المقابلة السابقة.
(٣٠) الحفو، من ملف ووثائق وأرشيف خاص، ص٤.
(٣١) المقابلة السابقة.
(٣٢) المقابلة نفسها.
(٣٣) للمزيد من التحليلات والآراء، أنظر، غانم محمد الحفو، "حول موقع الشعر في فلسفة الحضارة" جريدة الجمهورية (البغدادية)، العدد(٥٢٨٠)، ١٧شباط١٩٨٤.
(٣٤) وعن طبيعة شعره من ناحيتي اللغة والمضمون، أنظر عبد الغفار عبد الجبار عمر، ألق النص، دراسة للبنى الفنية والموضوعية في شعر الموصل المعاصر (الموصل، ٢٠٠٩) ص ٧٧.

(٣٥) وللمزيد من الإطلاع عن آرائه حول الأدب الجماهيري، أنظر، غانم محمـد الحفـو، "الأدب الجماهيري بين الضرورة والعطاء الثوري" مجلة الجامعة (الموصلية) العـدد (٦) آذار، ١٩٧٦، ص ٣٦.

(٣٦) الحفو، من ملف ووثائق وأرشيف خاص..ص٥، كما يمكن الإستزادة حـول شـعره وشاعريته بما كتبه عنه، عبد الوهاب النعيمي "حكايات من دفتـر الـذاكرة: روايـة وعشرة مؤلفين في مقهى شعبي" جريدة الربيع (الخاصة بمهرجان الربيع التاسع عشر بالموصل) العدد (٢) ١٥ آذار، ١٩٨٧.

(٣٧) للإطلاع على تفاصيل القصيدة كاملة، أنظر، غانم محمد الحفو، اشارة عاديـة إلـى مملكة الألوان (الموصل، ١٩٧٦). وقد علق على الديوان الشاعر أمجد محمد سعيد في مقالته المنشورة في مجلة الجامعة، العدد (١٩) حزيران ١٩٧٧.

(٣٨) للإطلاع على القصيدة كاملة، أنظر، مجلة مناهل جامعية، العدد (٩) آذار، ٢٠٠٦.

(٣٩) للإطلاع على القصيدة كاملة، أنظر جريدة الحدباء، العـدد (١٠) ١٤ تـشرين الأول ١٩٧٩.

(٤٠) للإطلاع على القصيدة كاملة، أنظر، جريدة الغد (الموصلية)، العـدد (١) ٥ كـانون الثاني ٢٠٠٤.